الملك فلمَّا مثلوا بين يديه قال لهم ويحكم لِمَ جئتم وبايِّ شيء اتيتم فاني لغنيٌّ عنكم قالوا انت الغنيّ ونحن الفقراء وانت القويّ ونحن الضعفاء فلا قوة لنا نرجع بها الى قوانا واضمحل وجودنا مما قد اعترانا. فقال لهم الملك ان صح افتقاركم فعليَّ جبادكم انطلقوا فداووا العليل في ظل ظليل وقبلوا غير مستقيل واحسن مقيل فمن غلب عليه برودة الرجاء فليشرب من كأس كان مزاجها زنجبيلًا ومن استولت عليه مرارة الشوق فورًا فليتناول بكاس كان مزاجها كافورًا. ثم قولوا للعاشق سل سبيل فاذا صحَّت الحمية قدموا العليل الى طبيبه والمحب الى حبيبه ولثَّاهم نظرةً وسرورًا ورقاهم ونقاهم وسقاهم شرابًا طهورًا فسكروا حين شربوا فطربوا ثم استزيدوا فزيدوا ثم استجيبوا فطاروا باجنحة الانس فاذا هم في حضرة القدس فسقطوا ليلتقطوا حبة الحبة في مقعد صدق عند مليك مقتدر فحاصلوا حين وصلوا فاما حضروا فاذا الحجب قد رفعت والاكواب وقد وضعت والاحباب وقد جمعت فنالوا ما لا عين رأت ولا اذن سمعت فقيل عند ذلك في هذا المعنى شعر

يا قلبُ بشراكَ ايامُ الرضا رَجعتْ ... وعُذبَ الدَّارُ للاحبابِ قد جُمعتْ
أما ترى نَفَحات الحيِّ قد عبقتْ ... أنفاسُها وبُروقَ القُرْبِ قد لَمعتْ
فعِشْ هنيًّا بوصلٍ غير مُنفصلٍ ... مع مَنْ تُحبُّ وحُجبُ الهجرِ قد رُفعت
وانظُرْ جمالَ الَّذي من أجلِ رُؤيتِهِ ... قُلوبُ عُبَّادِهِ في حُبِّهِ انْصَدَعتْ

الصابئة او المندائية

بقلم الاب الفاضل والباحث المدقق انستاس الكرملي البغدادي

(تابع لما سبق)

متقداصم (تابع)

اما من جهة اعتقادهم بالمسيح ويوحنا المعمدان فاليك تعريب ما قرأتهُ في "الكنزا" لا كما يوردهُ عوامُّهم قال وقولهُ كلهُ كذب كما سترى: «فأُعيد عليكم الكلام

يا تلامذتي (١ ان « مشيها » (المسيح) ويُقال لهُ عطارد (٢ سوف يختفي عدَّة اشهر في احشاء « أم بتول » ثم يبرز منها بجسدهِ . فيربو في حجر والدتهِ ويرضع من لبنها وينشأ بين ظهراني اليهود ويعرض مذهبهُ كلهُ منذ اول نشأتهِ . ثم يُعدّ لنفسهِ عبَدةً لهُ ويُكرهُ اصحابهُ على استشعار المِرعزا.(٣ وجزّ شعور الرؤوس فيرين الهوى على قلوبهم من حيث لا يدرون . ثم ان اصحابهُ يقومون بعيده يوم الشمس وسوف يقول لهم : « اني إلهٌ حق وقد ارسلني ابي الى هنا . اني انا اول الرُسُل وخاتمهم . اني الآب واني الروح القدس وقد نبغت في الناصرة » ولهُ عرش . وسوف يرفع الناسوت بالناسوت . وسوف ينتقل الى اورشليم

« هذا وان اليهود سوف يتألبون اليهِ بما يرون منهُ وسوف يُريهم معجزات وآيات غريبة حتى انهُ ينشر الموتى من القبور ويُعيد الكلام اليهم . وسوف يدعو اليهود ويقول لهم : تعالوا وعاينوا فاني أُحيي الموتى وانشرهم وادفع الفدية واني انا « أنوش الناصري ». هذا وان الروح نفسهُ سوف يُسمع صوتهُ في اورشليم ليشهد لهُ . اما مشيها فانهُ يفتن ابناء الناس يعمدهم بماء قابل النشف ويغيّر عماد الحياة اذ يُعتمد المتشيّعين لهُ : « باسم الآب والابن والروح القدس » ويُزحزح الناس عن عماد الحياة الذي تعمَّد بهِ آدم في مياه الاردن الحيَّة

وفي ذلك العهد يولد ابنٌ اسمهُ « يهيي بن ابو ساوا وزكريّا » ويأتيهِ في شيخوختهِ . ويكون عمر امهِ « إينشوي » مائة سنة حينما تحبل بهِ . وتلدهُ في هرمها . واما « يهيي » فسوف ينشأ في اورشليم لان الايمان يكون في صدرهِ وسوف يطوف الاردن ويعتمد الناس

---

١) هذا كلام مثل زيوا وهو الروحاني الذي نزل الى العالم واوحى كتاب الكنزا الى ابينا آدم على ما يعتقدهُ الصابئة . وقد اخرج كلامهُ مخرج النبوَّة لانهم يعتقدون كلّ الاعتقاد بقدم كتابهم هذا وبانهُ ينبّأ عن جميع الاديان التي تحدث على وجه الارض وعن جميع الوقائع التي تقع فيهِ في مستقبل الزمان الى نهاية العالم

٢) وبالصابئيَّة أنبو . قُلتُ : يعتقد المندائيون ان كلّ واحد من السيَّارات هو صاحب ديانة على الارض وقد جاؤوا اليها هابطين من العلاء شيئاً بعد شيء ثم رجعوا اليها بعد تمكين ديانتهم في العمور . ولهم في سيَّاراتهم عوالم وسماء ومحلّ عذاب الى غير ذلك . وعندهم انّ المسيح هو عطارد كما ترى .

٣) اي على اتخاذ شعر المعز شعاراً يلبسونهُ

مدة ٤٢ سنة قبل ان يأتي العالم عطارد المتجسد. وبعد ولادة يحيى في اورشليم بينما يطوف صقع الاردن ويعتمد سوف يأتي: « مشيها » (المسيح) ويتقدم بتواضع ليصطبغ بعماد يحيى وينتفع بحكمته. لكن « مشيها » سوف يعبث بمذهب يحيى ويغير عماد الاردن. غير انهُ في اليوم الذي يتمّ يحيى مهمتهُ آتي اليهِ واظهر لهُ حينما يكون ابن ٣ سنين ويوم واحد لأكلمهُ عن العماد واشرح لهُ النعمة الالهية وفي آخر الامر استلّ روحهُ من جسدهِ وارفعهُ بالطهارة والنقاء الى « آلما دَنهورا » وأعمدهُ في الماء الحي المنعش ماء الاردن الزلال وألبسهُ لباس المجد واضع على مفرقهِ التاج النير وأسمعهُ أنشودة القلب الطاهر تلك الانشودة التي تشبه الأغنية التي يغنيها ملوك النور ويرنّحون بها « ماكا دَنهورا » الى دهر الداهرين

« الّا ان العالم ينحاز الى الكذب بعد يحيى. ويدفع المسيح جميع الشعوب الى اتباع تعاليمهِ. ومثلهُ يفعل اثنا عشر من الرجال الذين سوف يطوفون العالم مدة ٣٠ سنة وفي تلك الحقبة يظهر الدجال في الدنيا. ويقيم الدعوى عليهِ ويسلّمهُ الى ايدي اليهود ويتركهُ اصحابهُ يموت مسمّرًا على صليب. فحينئذٍ ينتشر اصحاب المسيح على وجه البسيطة واما هو (اي المسيح) فيختفي على جبل « مورا ». وكما انّ الشمس تبقي بخارًا بعد وَهجها فان هذا المسيح يثير ايضاً في الارض تعاليمهِ. اما ابناء الناس الذين دانوا بدين الكذبة السبعة المعروفين باسم « مدبري الكواكب السبعة » فانهم يصيرون الى النار ». اه كلام الكنزا

هذا ونكتفي بهذا القدر من ذكر بعض معتقدات الصابئة لان مجال هذا الموضوع فسيح والإحاطة بهِ في صفحات قلائل ضرب من المحال. وقد رأيت مما مرّ بك ان ديانتهم خليطٌ من جميع الاديان التي سبقت الميلاد وعقبتهُ فقسْ ما بقي على ما تقدّم الكلام عليهِ. هدى الله الزائغين من نهج الحق الى الصراط المستقيم

ذكر شيء من شعائرهم الدينية

ليس للمندائية محلّ صلاة عمومي يجتمعون فيهِ كما هو المألوف عند سائر اصحاب الاديان بل الذي ينوب عنهُ هو النهر فلا تتمّ سُنّة من سُننهم الّا في « الماء العذب الجاري » وينتحونها بصلواتٍ يتلونها قبل ولوجهم الماء ويختمونها بصلواتٍ أخرى

يُزمزمون بها عند خروجهم منهُ . ومن السنن التي يمتازون بها ما يسمُّونهُ بالعربيَّة « العماد او المعموديَّة » وبلسانهم : ماوطا (مَصْوَثا) وهو لا يشبه عماد النصارى الَّا من وجه واحد وهو التغطيس بالماء لا غير . والعماد عندهم على ثلاثة اقسام : ١ً عماد الولادة والزواج ٢ً عماد الجنابة ٣ً عماد الجماعة

١ً فامَّا عماد الولادة فيكون على الوجه الآتي : عند ما يُولد الطفل يذهب واحد من اقاربهِ الى الكاهن ويذكر لهُ يوم ولادة الطفل والساعة التي جاء فيها . وحينئذٍ يراجع الكاهن كتابًا خصوصيًّا اسمهُ اسفر ملواثا (وتُلفظ : أَسْفَر مَلواثا ومعناهُ : كتاب ساعة الحبل) فيبحث الكاهن في الكتاب عن الاسم اللائق بالمولود وبعد ان يتمّ الحساب يقول لطالب اسم الوليد : « اسمهُ كذا » . واغلب الاحيان يكتبهُ على ورقةٍ ويسلّمها بيد الطالب المذكور ليأتي بها يوم تعميد الوليد . والعادة الجارية عند الصابئة انهم يسمون الولد باسم ثانٍ بلسان البلد الذي يوجدون فيهِ فيكون عربيًّا في بلاد العرب وفارسيًّا في بلاد الفرس وهلمَّ جرًّا . وحينئذٍ لا يذكر الاسم الديني الَّا في الشعائر الدينيَّة وما كان من بابهـا . غير انهُ يوجد صابئون من لا يسمُّون اولادهم الَّا باسم واحد هو الاسم المنداني الديني لا غير . فيُعرفون بهِ دينًا ودنيا

ثم بعد ان يمضي على المولود اربعون يومًا يفكّر اهلهُ في تعميد ولدهم . ولا يجوز ابدًا العماد قبل هذه المدَّة لكن يجوز اطالتها الى مدة تفوت الشهرين . وفي اليوم المعيَّن يحمل واحد من الاقارب او الاصدقاء ان ذكرًا وان انثى الوليد الذي يُراد تعميده ومع الجماعة والدة الولد (١ . ويذهب الجميع الى الكاهن واسمهُ عندهم ماذهبا (ترميذا اي التلميذ) فيلبس حُلَّتهُ الكهنوتيَّة او الدينيَّة واسمها عندهم « ذاهذا رَشتَه » ثم يمسك

---

١) لا يكون يوم عماد الولد الَّا نهار الاحد ولا يجوز تعميده في ايام الاعياد ولا أيام الاسبوع بخلاف ما ذكرهُ حضرة الفاضل نقولا الدوفي . ولا يجوز العماد قبل هـذه المدة (اي مدة الاربعين يومًا) لان الولد والوالدة يُعتبران نجسَين وكل من يلمسهما قبل العماد يتنجَّس ويجب عليهِ الاغتسال ولا يجوز للوالد نفسهِ ان يذبح ذبائح قبل المدَّة المذكورة ايضًا . ولا يُعمد الوليد ما لم تُعمد الوالدة قبلهُ . امَّا سبب وجوب التعميد نهارًا فهو لان « شيَّاربًا » من روحانيّيهم يذهب في ذلك النهار الى « مُشُوقي كُشْطا » وهو عالم ثان على زعمهم فيهِ نورٌ دائم وسكَّانهُ من الصابئة ليُعمَّد من يحتاج الى هذه في ذلك العالم

عصاً خصوصيَّة يسمونها « مطاخا مَركَنا » وينطلق بالمرأة والوليد وحامل الولد والجمع الحاضر الى ماء عذب جارٍ ما كان . ومعهُ شماسان صغيران واسم الشماس عندهم « مطابا » (شكندا) فاذا صار الى حافة الماء يتلو صلاة افتتاحيَّة ثم يلبس الشماس والوليد رَستهما وبعد ذلك يسأل التلميذ عن اسم الولد فيُذكر لهُ ثم يأخذ الشماسُ الولدَ فيتلو الكاهن على رأس الطفل صلوات يستنزل عليهِ بركات العماد ويعتني كل الاعتناء ان لا يسقط من رأس الولد او من رستهِ شيء ابدًا والَّا فان سقط من المتعمد لفافة او نحو ذلك فيجب على المعمّد ان يتعمّد ٣٦٠ مرَّة قبل ان يُعمد الولد و ٧٠٠ مرَّة اذا وقع شيء من الكاهن المعمّد نفسه. وبعد ان ينتهي الكاهن من تلاوة الصلاة يضع في اصبع المتعمِّد خاتمًا من عود الآس ثم ينزل الكاهن في الماء ومعهُ الإشكندا حاملًا الطفل بحيث يبلغ الماء ركبة النازلين فيهِ بدون ان يجوز لهم رفع شيء من ثيابهم الدينيَّة . ثم بعد ذلك يغرف المعمّد ماء بيديه ويلقيهِ على الطفل ثلاث مرات الى ان يتبلَّل ثم يقول لهُ بالمندائيَّة (١ : فلان بن فلان . انك تعمّدت بعماد بهرام العظيم ابن رُربي (فعسى هذا العماد) يحفظك ويُصعدك الى أعلى (آلما دنهورا) بجاه اسم هيّي (الحياة) واسمهِ مَندا دهيّي (معرفة الحياة او رسول الحياة) المذكورَين عليك (٢ . وبعد ذلك يخرج جميعهم من الماء ثمَّ يستلّ الكاهن خاتم الآس (واذا لم يوجد في البلد آس يُبدل بالمرماحوز الذي يسمّى ايضًا بالماحوز او بالمرو الماحوزي marum) من اصبع الولد ويضعهُ على جبينهِ تحت عمامتهِ (والعمامة تسمّى عندهم كترَالا خاءالا) وبعد ان يصلي الكاهن هنيهةً يسجد (ومعناهُ عندهم يحني رأسهُ وصدرهُ وهو يفعل ذلك كلَّ مرَّة يذكر اسم

---

١) وهذه صورة حرفية بالآرامية : فلان بر فلان وحاد عماد وحاد عماد بهرام عظيم وحاد عماد بهرام عظيم وحاد عماد بهرام عظيم

وتلفظ : فلان بَر فلان صبَوتَ بهصوتَا دبهرام ربا بر رُربي مصوتخ تناطرَخ يشَّق لريش أشا دهيّي أشمي دمندا دهيّي مدخر أخ

٢) روايتنا هذه تختلف كثيرًا عن رواية نيقولا السبوني وسبب ذلك هو ان السيد المذكور اعتمد على كلام واحد من الصابئة لا يعرف الَّا القليل من ديانتهِ ولهذا عدا كتابهُ بمنزلة كتاب ديانة تواطأ على اختلاقها السيد المذكور مع الصابئ المعلم . اما اعتمادنا فهو على الكتب وجماعة عديدة من الشيوخ المندائية . ولا يتحقَّق صدق هذا الكلام الَّا من قيَّض الله لهُ المجيء الى هذه البلاد والوقوف على الكتب الدينية الراجعة الى هذه النحلة او مشافهة جماعة من شيوخهم العلماء

روحانيّ عظيم) ثم يأخذ بيدهِ اليسرى شيئاً من الكندر ويُلقيهِ في نار قد أوقدت في موقد على هيئة ما يسمّيهِ العامّة بالمنقل ويتّخذ من الطين الحرّ ويُوقف لهذه الغاية في مثل هذه السُّنّة . وبينما يُلقي البخور على النار يقول : (ﻣﻪ ﻣﻪ ﻣﻪ ﻣﻪ) ويصعد (وتُلفظ : ريها ذبيّم) اي لتفُح رائحة (وليس معناها كما قال المرحوم نقولا السيوفي : « رائحة ذكيّة ») وبعد ذلك يضع الكاهن في يدهِ اليسرى مقدار عشر سنبلات من سنبل مُخلّص موضوع في كيس لهذه الغاية ثم يُريق عليهِ شيئاً من الماء يأخذهُ بقنينةٍ من ماء النهر قبل خروجهِ منهُ ثم يلثهُ بانامل يدهِ اليمنى ويضع منهُ ثلاث مرات على جبين الولد ممرّاً يدهُ من الصدغ الواحد الى الصدغ الآخر وهو يقول كل مرة : « ﻭﻣﻪ ﻣﻪ ﻭﻣﻪ ﻣﻪ ﻭﻣﻪ ﻣﻪ ﻭﻣﻪ ﻣﻪ ﻭﻣﻪ ﻣﻪ ﻭﻣﻪ ﻣﻪ ﻭﻣﻪ ﻣﻪ » وتُلفظ : وشيمت برشما ذهيّ . أشا ذهيّ وأشا دمندا ذهيّ مدخر الخ اي : لقد وُسمتَ بسمة الحياة . اسم الحياة واسم معرفة الحياة مذكوران عليك . ثم يصلّي صلاة طويلة ثم يذكر في قلبهِ بنوع لا يسمعهُ احد اسماء سرّيّة ويذكر كل اسم على كل عقدٍ من عقود اصابعهِ الخمس راضماً كل مرّة طرف ابهامهِ على كلّ عقدٍ ويذكر ٦١ اسماً . وهذه الاسماء لا تُذكر لأحد حتى ولا للصابئة واذا قُلّد الكاهن رتبتهُ يقول لهُ مقلّدهُ الرظيفة حينما يصل الى تعليمهِ هذه السُّنّة من ديانتهِ : « وعليك الآن ان تُظهر الاسماء التي هي مذكورة في هذه الصفحة لوقت الحاجة » فيجتهد المترشح لحفظها على قلبهِ بدون التلفُّظ بها ثمّ بعد ان ينتهي المعتمد من هذه الاسماء يلثم طرف عمامتهِ ويضعها على كلّ من عينيهِ مرّاتٍ عديدة ثمّ يُنزع الخاتم من جبهة المتعمّد ويُلقى في النهر ثم تنزع ثيابهُ وهكذا ينتهي العماد . واجرة العماد لا تتجاوز نصف الفرنك . وهي اجرة واجبة الدفع واذا ادّى المتعمّد اكثر من ذلك فيكون ذا من الامور المحمودة . واذا تُوفي المتعمّد في اثناء العماد فامّا ان يتمّم الكاهن السنّة الى آخرها على الميت واما ان يوثق بواحدٍ من المندائيّة يُشبه اسمهُ اسم الميت ويُنهي عليهِ تتمّة الحفلة الدينيّة

امّا ما ذكرهُ المأسوف عليهِ نقولا السيوفي فهو زوائد لا تُطابق الحقيقة والدليل على ذلك اني كنت قد اخذت سِفرهُ معي في تجوّلي في بلاد الصابئة ولمّا تلوتُ على الحضور سنّة العماد رأيتُ طائفة منهم يفرغون وسعهم في اخفاء ضحكهم عند تلاوة تلك المُختلقات فمنهم من كان يسدّ فمهُ بطرف ثوبهِ . ومنهم من كان يجعل رأسهُ بين يديهِ ومنهم من كان ينهض من المجلس خوفاً من استغراقهِ في الضحك ومنهم من كان يُحرّق

الارثم ضبطاً لنفسه الى نحو ذلك من الامارات المشعرة بضعف ما اوديه على مسامع الجلاس. ولما انتهيتُ من زيارتي لهم اخذني الشيخ على انفراد وقال لي: ان اغلب ما ذكرتهُ من الامور الفرّية فان شئت احضر هنا نهار الاحد في الساعة الفلانيّة واشهد عماداً ثم علّق ذلك على كنّاشتك. ففعلتُ. وما قرأتهُ هنا هو رواية ما شاهدتهُ بعيني. فاينتبه القارئ

اما عماد الجَنابة فيكون تقريباً على الوجه المارّ ذكره. ويتحتم على الصابئ كلّ مرة يجنب. وهو يجنب في امور كثيرة منها: لمس ميتٍ او مولودٍ او نفساء او حائض او دم حيوان مذبوح على غير سنّتهم. ومنها اذا عضّ الصابئ كلبٌ او حيوان آخر فادماهُ. وكذلك اذا نهشتهُ حيّة او لسعتهُ عقرب او نحوهما من الهوامّ. ومنها اذا ذهب الواحد منهم الى بلادٍ اصحابها معذورون او اكل من لحم لم يذبحهُ واحدٌ من الموظفين بذلك. او أُودع السجن او أتى امرأتهُ او احتلم الى غير ذلك من الامور التي اذا عمل بها المنداني التقي الورع فلا يكاد يخرج من الماء. ولذا ترى كثيرين منهم لا يحتلمون بتاتهم هذه الّا في النادر

واما عماد الجماعة فلا يكون الّا في عيد واحد يسمونهُ: « فاما » وتُلفظ: « پَنجه » وهي كلمة فارسيّة معناها (عيد) خمسة (الايام). وفي ذلك النهار يتألب المندائيّة من كلّ اوب وصوب فيدخلون النهر ثم يقرأ عليهم الكاهن صلوات يكثر في مطاويها ذكر لفظتين وهما: « مانا هايي » وتُلفظ: « هَلّنْ زيانا » ومعناها: « هذه النفوس » فظنّ حضرة نيقولا السيوفي ان معنى هاتين اللفظتين هو اسم تلك الجماعة. وقد قال في كلامهِ عن هذا العماد ان الحضور يُعمدون بالرش. وليس الامر كذلك بل انهم يعمدون بالتغطيس كما هو الجاري في العماد المألوف (ستأتي البقيّة)

تسريح الابصار

في ما يحتوي لبنان من الآثار

للاب هنري لامنس اليسوعيّ (تابع لما سبق)

٢٨ ارز لبنان

لا يسعنا في وصف آثار لبنان ان نضرب صفحاً عن شجر اختصّ به هذا الجبل